

أصالة الدرس اللساني العربي عند عبد الرحمن الحاج صالح (تعليمية النحو نموذجاً)

The authenticity of the Arabic linguistic lesson for Abd al Rahman al-Hajj Salah (Teaching Grammar as a model)

بلقاسم فاطمة¹، جبالي فتيحة²Belkacem Fatma¹, Djebbali Fatiha²1 جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، fatma.belkacem@univ-tiaret.dz2 جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، fatiha.djebbali@univ-tiaret.dz

تاريخ النشر: 2024/11/28

تاريخ القبول: 2024/09/27

تاريخ الاستلام: 2024/03/19

الملخص: يُعدّ (عبد الرحمن الحاج صالح) من أعلام الفكر اللساني المعاصر الذين عرّفوا قيمة التراث اللغوي العربي الأصيل، فتميّز بروح علمية في قراءته وإحيائه للتراث من منابته، فقد اهتم بالمادة اللغوية الأصيلة، لينهل منها ما يراه سليماً وأصيلاً يُمكن تدوينه، وللرجل أصول في دراساته، فعمله دليل على ما جاء به القدامى من أصل العربية عن الدرس اللساني العربي والنحوي، لإثبات حقائقه العلمية من خلال نظريته العربية المشهورة، في هذا السياق تسعى هذه الدراسة للبحث عن معالم الأصالة في الدرس اللساني العربي عامةً والدرس النحوي خاصةً، فهل تمكن هذا العالم اللساني بما أُوتي من ملكة عقلية في فهم حقيقة الدرس اللساني العربي وإدراك ما وراءه من معانٍ ومقاصد بُغية تأصيله؟

كلمات مفتاحية: التراث اللغوي، الدرس اللساني، الدرس النحوي، تأصيله، عبد الرحمن الحاج صالح.

Abstract

Abd al-Rahman al-Hajj Saleh is considered one of the figures of contemporary linguistic thought who knew the value of the authentic Arabic linguistic heritage. He was distinguished by a scientific spirit in his reading and revival of the heritage from its origins. He was interested in authentic linguistic material, to draw from it what he saw as sound and authentic that could be written down. The man has foundations in his studies, His work is evidence of what the ancients brought from the origin of Arabic regarding the Arabic linguistic and grammatical lesson, to prove its scientific facts through his famous Arabic theory. In this context, this study seeks to search for the features of originality in the Arabic linguistic lesson in general and the grammatical lesson in particular. Was this linguistic scholar able to Have you been given the mental ability to understand the truth of the Arabic linguistic lesson and realize the meanings and purposes behind it in order to consolidate it?

Keywords: Linguistic heritage, linguistic lesson, grammatical lesson, its roots, Abdul Rahman Al-Hajj Saleh.

1. مقدمة :

إنَّ الحديث عن التراث اللغوي أو الدرس اللغوي العربي هو حديث عن الأسس الأولى التي جاء بها القدامى من أهل العربية، التي كشفت بدورها عن الزخم المعرفي الذي تركه هؤلاء في تراث لغوي ضخم يدلّ على أصالة الفكر العربي، ويصوغُ معطيات التفكير اللغوي الحديث لمواكبة الحياة العلمية الراهنة، ومسايرة التّحولات اللّسانية الغربية الحديثة، التي أنتجت بمعطياتها تطورات ملحوظة في حقل الدراسات اللغوية، شهدت انتقالاً واضحاً إلى البلاد العربية، تلقّاه ثلّة من العلماء العرب في الفكر اللّساني بفهم عميق للدرس الحديث والدرس التّراثي معاً.

وبناء على هذا المعطى نشأ اتجاه لغوي حديث يدعو إلى التوفيق بين الدرس اللساني الحديث والدرس اللغوي العربي، من أعلامه (عبد الرحمن الحاج صالح)؛ الذي لم يأت عمله دعوة إلى تقليد الغرب كما فعل بعض المحدثين، وإنّما سلك مسلك الارتقاء العلمي للإفهام والإقناع والنقد والبناء في تحليل مسائله بتصحيح بعض الأفكار الحديثة والمعاصرة، من خلال بلورة تقصي علوم الدرس العربي في جميع مستوياته، وبخاصة الجانب النحوي منها الذي جعله محور الدراسات العربية واللّب الذي قامت عليه، فبادر إلى إثبات أصالة النحو العربي باعتباره من أهم العلوم اللسانية، بغية توجيه تطور الدرس اللساني لفائدة النظام اللغوي، وفهم أسرار اللغة العربية.

والحقيقة التي يجدرُ ذكرها في هذا المقام هو أنّه حاول تشخيص واقع البحث اللساني في الوطن العربي، فلم يقف عند حد التشخيص بل أعطى حلولاً ترسمُ الطريق الأمثل للنهضة في مجال الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، النظرية منها والتطبيقية خاصة في مجال تعليمية اللغات بصفة عامة وتعليمية اللغة العربية بصفة خاصة، ومن هذا المنطلق قد تمّ رصد مجموعة من الإشكالات في هذه الدراسة أهمها:

فيم تمثلت مظهرات جهود عبد الرحمن الحاج صالح في تأصيل الدرس اللساني العربي بصفة عامة والدرس النحوي بصفة خاصة؟ وهل استطاعت هذه الجهود أن تفتح باب الفهم أمام القارئ العربي للوعي بالدرس اللساني العربي قبل اتصاله باللسانيات الحديثة؟

وللإجابة عن هذا الطرح حاولنا في بحثنا هذا الوقوف على مسألة -تعليمية النحو- كمعلم من معالم التأصيل العلمي في الدرس النحوي العربي عند عبد الرحمن الحاج صالح والتي تهدفُ إلى وضع الضوابط لتّمكن المتّعلم من فهم أسرار النحو العربي وإدراك أصالته.

2. تأصيل الدرس النحوي وتحديثه

استطاع كبارُ العلماء والنّحاة العرب بثقافتهم الواسعة، وتفكيرهم الصّافي أن يلمّوا بكلّ ما تعلّق بالدرّس اللّغوي العربيّ والنّحوي على الخصوص، ويفتح بابّه كلّ من أبي الأسود الدولي (ت69هـ) وصولاً إلى سيبويه

والخليل (ت170هـ)، لتستقرّ ضوابطه ومضامينه في كتبهم، فقد نشطَ هذا الأخير في حضان مؤلفاتهم خدمة للقرآن الكريم واللغة العربية، وبرزَ بشكل ناضجٍ، واتسعَ ميدانه ليشملَ العلوم الأخرى المتصلة به، فتمخض عنه ما يطلق عليه بالدرس التراثي النحوي العربي الأصيل.

فقد اجتهد هؤلاء في إخراج المسائل والقضايا النحوية من صورة الإشكال إلى صورة الوضوح والتجلي، قد كان معيارهم اللغوي قائم على الدقة والإتقان لضبط قواعد اللغة العربية، « فما لجأ إليه النحاة العرب القدامى أمثال الخليل وسيبويه بصفة خاصة من الوسائل العقلية ووسائل البحث عامة هو شيء اختصَّ به هؤلاء النحاة وانفردوا به » (صالح، منطق العرب في علوم اللسان، 2012، صفحة 28)، فبوصف الصورة التي رسمها سيبويه عن النحو يظهر بوضوح أنّ النحو العربي في فترته الأولى لم يكن مقياساً ثابتاً؛ أي لم يكن معيارياً، بل كان يتأثر ويندمج بتفاعل مع التنظير اللساني الحديث كأداة تقوم على تفكيك بنية اللغة وتحليلها، وتركز على فهم هياكلها وتفاعلاتها، مما أدى إلى اكتشاف تشابهات بين هذا التراث الفكري الغني في دراسة النحو العربي الأولي و الدراسات اللسانية الحديثة ، من حيث تشابهه في هيكله وأسلوبه مع هذه الدراسات في تحليلها وتفسيرها، وهذا التشابه لا يقتصر على الوصف اللغوي فحسب بل يتعدى إلى أساليب التحليل والبحث، في هياكل اللغة وتفاعلاتها، بالإضافة إلى الرؤى النظرية والمنهجية المتشابهة في كيفية دراسة هذه اللغة وفهمها، حتى وإن كان هناك اختلافاً في الأهداف والأساليب المتبعة، مما يظهر التطور والتأثير المتبادل بين النحو العربي والدراسات اللسانية المعاصرة.

إلا أنّ هذا التوجه في بناء هذه النظرية أحدث صراعاً فكرياً وثقافياً في الدراسات اللسانية العربية ، فبرزت تناقضات بين تيار ملتزم بالحفاظ على التراث اللغوي العربي، وتيار حدائي يستلهم المنهج اللساني الغربي الحديث وفي ظلّ هذا الصراع الذي أصبح لا ينفصل عن الفكر العربي، خاض الدرس اللساني وعلى وجه التحديد الدرس النحوي، جوانب معقدة في دراسته ، يظلّ التوجه التوافقي هو المسيطر في الدراسات اللسانية الحديثة ، فيحاول التوفيق بين الإرث اللغوي القديم وتطلعات اللسانيات الحديثة، في إطار قراءة قراءة هذا التراث القديم في ضوء اللسانيات ، وبالتالي تبني الدرس اللساني العربي أنموذجاً يمزج المفاهيم اللغوية الغربية الحديثة بأسس النحو العربي، فعرف بما يسمى بالدرس اللساني العربي الحديث ، وفي هذا السياق يظهر العالم اللساني كشخصية رائدة في هذا التيار ، حيث يلقي اهتماماً كبيراً في الحديث عن هذا الدرس، ويشكّل مرجعية لا غنى عنها في المجال اللساني العربي المعاصر.

وبالعودة إلى تأمل مسار الدراسات النحوية عبر العصور نجد تلك الدعوات التجديدية المستمرة، التي رفعها مجموعة من اللغويين والنحويين حتى يومنا الحالي، وفي ظلّ التفاعل مع التراث النحوي العربي عبر القرون الأربعة للهجرة، ظهر الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بدوره البارز في ميدان الدراسة اللسانية العربية، فقام في بداية مسيرته بتطوير نظرية نحوية سماها "بالنظرية الخليلية الحديثة"، مبرهنًا من خلالها على أنّ الأسس التي انطلق منها تحافظ على أصالة النحو العربي، والتي لاتزال صامدة، وأكد عل عدم تأثره بالأنظمة اللغوية الأخرى خارج العربية لأنه يرى أن النحو العربي واللغة العربية بشكل عام يمثلان وحدة ذاتية مستقلة لا تتأثر بهذه الأنظمة، وهو ما يعكس هوية هذه اللغة وفرادتها، كما يرفض تبني مناهج أو مفاهيم لسانية و فلسفية خارجية أي التصورات الفلسفية الأجنبية التي قد تكون متناقضة مع الأسس والقيم اللغوية العربية، هكذا يتبين أنّ المنهج الذي اتبعه أستاذنا يشير إلى عبقرية وتميز في تفكيره ومواقفه، رفع من خلاله شعار الأصالة والاستقلال اللغوي العربي ، وسط محاولات التأثيرات الأجنبية.

فالمبدأ الذي قام عليه في دراسته ، كمبدأ الأصالة والتي تعني عنده الإبداع والمغايرة، والتأصيل يعكس حقيقة التراث ليس كما فهمه بعض اللغويين المحدثين الذين تأثروا بأفكار الغرب، «فكأن هؤلاء المتقنين بجعلهم الأصالة في مقابل المعاصرة لا يتصورون هذه الأصالة إلا بالرجوع إلى القديم، فالأصيل في الواقع هو المبدع الذي يأتي بشيء لم يسبق إليه مهما كان الزمان الذي يعيش فيه» (صالح، 2012، صفحة 11)، فيبين عبد الرحمان الحاج صالح من خلال قوله هذا أنّ التراث اللغوي العربيّ الأصيل وما جاء به القدامى غنيّ بالأفكار الأصيلة، و أنّه لا يقلّ أهمية عما جاءت به الدراسات الحديثة، ولم يأت عمله دعوة إلى التقليد سواء عن نحو أرسطو ولا تقليد الغرب كما فعل بعض النحاة المحدثين الذين عملوا على إقبار ضوابط النظام اللغوي العربي، وإسقاط الفكر اللغوي الغربيّ على النحو العربيّ، وإنّما أثبت حقائق النحو العربيّ من خلال نظريته المشهورة، التي يرى فيها مستقبل النحو العربيّ، وحاول تطهير الفكر العربيّ وبخاصة النحوي من الأخطاء العلمية والمنهجية التي ما انفك الدارسون العرب متمسكين بها، ويدعون إليها باعتبارها مسلمات لا تقبل النقاش أو إعادة النظر، معتمدا في ذلك على مبادئ علمية وإجراءات منهجية كاشفا عن أصول البحث العلمي (صويلح، 2020، صفحة 405/404).

فدراسته تمثل منهجا جديدا في فهم التراث النحوي بمنظور مقارن يلقي الضوء على النزاعات والاتجاهات الحديثة في المجال اللغوي العربي ، كما تعتبر منصة للقراءة والتأمل في النظريات اعتمد عليها العديد من المفكرين والباحثين في الفحص و التحليل ، خاصة تلك المتعلقة بالنظرية الخليلية، وبما أنّها تعتبر نظرية فرعية تنشأ من خلال التفاعل مع الأسس النظرية الخليلية الأصلية، فهذا قد يضيف طابعا جديدا من الفهم والبحث في

هذا المجال المعرفي..، وبالتالي يمكن القول أنّ دراسة عبد الرحمن الحاج صالح هي دراسة شاملة لهيكلة النحو العربي بطابع قديم ولكن بقالب جديد ومعاصر.

وفي ظلّ هذه التحولات اللغوية الحديثة، ونظرا للمكانة المتميّزة التي يحتلها الدرس النحوي أصبح إصلاح النحو وتيسيره يشكّل تحديا ومشغلا بارزا في ساحة اهتمام المثقفين العرب في العصر الحديث والمعاصر، وتأتي هذه الجهود نتيجة للتطورات الإيجابية التي سجلتها الدراسات اللغوية على مستوى البحث النظري أو التطبيقي (العملي) في كيفية جعل قواعد هذا الأخير أكثر فهما ووصولا للقارئ بشكل عام، وانطلاقا من المستوى العملي برز الأستاذ عبد الرحمن صالح على سبيل المثال، فانفرد بمعجمه الخاص، أزاح به التّبعية والتقليد عن النحو العربي، وارتقى به إلى مستوى عال لا تعسف فيه بُغية تأصيل أسسه، فعكس قيمته اللسانية ودقّتها، وقرب به طلبة العلم ليمتثلوا طريقه، فقد «كرّس مبدأ التّبعية للتراث بالوعي والفهم قصد تطويره، وجعله منارا يبعثُ شعاعه لكشف فلسفة هذا العلم وحلّ عقده، وقد سلك الاتجاه العلمي للإفهام والإقناع في تحليل مسائله» (بنقطة، 2020، صفحة 89).

وفضلا عن ذلك بذل الباحث أيضا جهدا من أجل الحفاظ على اللغة العربية وإثرائها وجعلها وافية بمستجدات العلم الحديث، قادرة على الدوام على أداء إرسائها أدق أداء، «فكان يُصرّ على المعرفة بالنماذج القديمة التي تُكسب المتن اللغوي الصحيح، لا العربيّة التي يغلبُ عليها السّجع وانتقاء الألفاظ، فلا يلزم امتلاك معرفة مستفيضة بالتفصيلات المعقّدة للنحو العربي، لأنّه لا ينظرُ إلى النحو على أنّه الإعراب والتفقيه، بل الأساس فيه هو التمسك بآليات الإعراب الذي يُخلى المعاني» (بلعيد، 2004، صفحة 148).

فالتفكير النحوي عند (الحاج صالح) أساسه التأصيل والتجديد، إذ نجد حديثه عن العامل مثلا يقول: «ليست اللفظة الوحدة الصغرى التي يتركب منها مستوى التراكيب niveau syntaxique لأن هذا المستوى وحدات أخرى من جنس آخر أكثر تجريدا، فالعامل هو العنصر الذي يتحكم في التركيب الكلامي، ويؤثر فيه بل هو المحور الذي يُبنى عليه، ولكنّ الأهم هو أنّه سبب بناء الكلام، فلا كلام مفيد بدون بُنية يكونُ أساسها العامل» (صالح، 2012، صفحة 222/223)، هكذا يتبين لنا أنّ المستوى التركيبي للجملة حسب رأيه هو المستوى الذي يظهر في وحدات خاصة، وأكثر تجريدا هي؛ العامل، الذي يركز عليه ويعكس قيمته والمعمول الأوّل والمعمول الثاني ومخصص..، ومعنى ذلك أيضا فالمستوى التركيبي أو بعبارة أخرى المستوى النحوي هو واحد من مستويات نظام أيّ لغة من اللغات، فالأستاذ قد أدرك هذه الحقيقة بوعي فائق من خلال قوله هذا، بحيث ألقى الضوء على أهمية العامل التي لا تقتصر في النحو التقليدي فقط، بل امتدت إلى أنواع الدراسات اللسانية الحديثة بمفهوم

عميق، كما أخذ يمنح لهذا العامل اللغوي كل انعكاساته وأبعاده في سياق الدرس النحوي واللساني ، مما يظهر نظريته المتفتحة اتجاه التطورات اللسانية المستجدة ، متجاوزاً التقاليد النحوية السابقة.

ويثبت الحاج صالح هذا المستوى انطلاقاً من العمليات الحملية أم الإجرائية، فيحمل أقلّ الكلام وتحويله بالزيادة مع إبقاء النواة، فيلاحظ أنّ الزوائد على اليمين تغير اللفظ والمعنى، وتؤثر في أواخر الكلم، وذلك مثل:

الجدول 1: المستوى التركيبي للجملة

العامل	المعمول 1	المعمول 2	مخصص
	زيدٌ	قائمٌ	
إن	زيداً	قائمٌ	هنا
كان	زيدٌ	قائماً	اليوم
حسبت	زيداً	قائماً	غلطاً
أعلمت عمراً	زيداً	قائماً	حالاً
أكرم	زيدٌ	عمراً	إكراماً
أكرم	تُ	عمراً	كثيراً

فمن خلال هذه الأمثلة المقدّمة في الجدول يتضح لنا أنّ في هذا المثال "كان" هو العامل، وأما "زيد" هو المعمول الأول، و"قائماً" هو المعمول الثاني، وهنا يظهر لنا بأنه لا يمكن الاستغناء عن هذه العناصر بعكس المخصص والذي يعتبر زيادة والمتمثل في هذا المثال في "اليوم"، فمن خلال هذا الجدول أيضاً يستنتج الأستاذ ما يلي من الملاحظات:

- « أنّ الأصل يتحدد بعدم الزيادة عليه عامة، فموضع الزيادة على الأصل فارغ ويشار إلى ذلك بالعلامة الرياضية Ø.
- أنّ العامل هو الذي يؤثر ويتحكم في التركيب الكلامي، فهو المحور الذي يبنى عليه، والذي يسميه القدامى بالابتداء.
- أنّ الوحدات المجردة التي تبنى عليها أبنية الكلام، هي العامل الأول، والمعمول الثاني والمخصصات فالعامل يرمز له ب ع، وأما المعمول الأول فيرمز له ب م1، وأما المعمول الثاني فيرمز له ب م2 وهذه العناصر هي عناصر أساسية لا يمكن الاستغناء عنها» (صالح، 2012، صفحة 88/89).

وأما بالنسبة للمخصصات فيرمز له ب خ، وهو عنصر زائد ويمكن الاستغناء عنه ولا يؤثر في المعنى العام للجملة.

وتماشيا مع ما تم ذكره، تتنوع طرق التأصيل والتجديد للنحو العربي في مواطن أخرى أيضا، من ذلك مفهوم المثال، يقول: « إنَّ مفهومَ المثال هو مفهوم رياضيٍّ محض وهذا مخالفٌ تماما للمنطق غير الرياضي "غير اللوجسטיقي" (صالح، 2012، صفحة 321)، ويُعتبر المثال تجميعاً للحروف الأصلية مع الزوائد، وتوزيع الحركات والسكنات في أماكنها. ونتيجة لذلك، يمتاز مفهومه بالأصالة العربية ويفتقر إلى مقارنة في سياق اللسانيات الحديثة. يُمكن توضيح هذا الأمر بشكل أفضل من خلال الجدول التالي:

الجدول 2: مثال الكلمة

[illegible]

فالجداول أعلاه يركز على طابع العمليات الرياضية المتداخلة في فهم المثال، كما يظهر الاختلاف الجوهري بين هذا المفهوم وبين المنطق اللغوي الحديث.

وبالتالي فقد توسّع في موضوعات كثيرة نجدها مبنوثة في كتبه، كشف من خلالها عن الوظائف التَّحويلة بأنماطها التركيبية.

فأصاليّة الدّرس النّحوي وحداثه في الدّرس اللّساني الحديث ترمي إلى أهداف أكّدت على وجوب وُضْع النّحو العربيّ ليُصبح أداة إيحائيّة، تُسهّل الخطاب اللّغوي والأدبيّ معا وتيسّره، كما تساعد على تطور الدرس اللساني لفائدة النظام اللّغوي، ولعل تلك الأصاليّة عند عبد الرحمن الحاج صالح قد استمدّت شرعيّتها من القرآن الكريم، فنضجت مسائل هذا الأخير، وتأصلت مصطلحاته، وفتحت آفاق واسعة للمهتمين بالنّحو العربيّ بالتقريب منه، ووُضعت ضوابط من أجل تطويره وصيانتّه من قبل الكثير من الدارسين المستشرقين المتأثرين بالثقافات الأجنبية، والذين شكّكوا في أصالة النحو، ولهذا أثبت العلامة هذه المسألة بقوله: «إنّ النّحو العربيّ قد وُضع على أسس إبستمولوجية مغايرة لأسس اللسانيات البنيوية، وخصوصا في المبادئ العقلية التي بُنيت عليه تحليلاته» (علوي، 2009، صفحة 189)، ومعنى هذا أنّ النحو العربي حسب رأيه قام على فلسفة لغوية تراثية تدرس الأسس والوسائل المنطقية والمنهجية التي اتبعتها علماء العربية للوصول إلى المعرفة وتحليل الأدلة وصياغة النظريات بمنهج عقلاني و فريد يقوم على مفاهيم فكرية عربية حول بنية اللغة واستخدامها بطرق تتجاوز المنهج التقليدي للسانيات البنيوية..

ولهذا ردَّ أستاذنا على الشُّبهات التي ضربت الجذور العميقة للنَّحو العربيّ، وهزت كيانه، بأدلة أقوى منها تاريخية، تراثية، وعقلية، بأسلوب علمي مقنع، واجتهد بتفكيره الصافي وملكته الفائقة من إظهار آليات النحو من خلال مؤلفاته عن طريق ملامسة مصادر كبار النحاة، ووصفه بالآلة العقلية التي تربط بين المستويات اللسانية، حينما أدرك فهم أسرار اللغة، وذلك قصد تطوير الدرس النحوي، وإثبات الارتقاء العلمي، إلاَّ لأنَّه يحتلّ مكانة مرموقة بين الدِّراسات اللِّسانية في العصر الحديث، نظراً لأهميَّته الكبرى بين مختلف العلوم الإنسانيَّة، فقد كان محطة أنظار الباحثين، دُعاة التيسير وأصحاب الملكة الثاقبة الذين استعانوا به في معرفة أسرار اللغة العربية في الحياة العلمية، لأنَّه جوهر اللسان العربي ودليل على حاضر الأمة ومستقبلها ووجودها.

وخلاصة القول، فإنَّ الأصالة عنده تمثِّل مظهرًا من مظاهر الدرس اللساني العربي وسرًّا من أسرارهِ، كشفت عن معالم أصالية خاصة ما تعلق بتعليمية النحو كنموذج للتأصيل في هذا الدرس.

3. تعليمية النحو في فكر عبد الرحمن الحاج صالح

تظل قضية تعليم النحو العربي ذات أهمية بالغة، سواء في الماضي أو في الوقت الحالي، لأنَّ النحو يعكس هيكل اللغة العربية ويشكل محورًا أساسيًا لفهمها وتحليلها، ويعتبر أساسًا لبناء المعاني ويحدد وظائفها، وتتجلى أهمية هذا الموضوع في تنوع وكثرة الآراء والتقديمات التي تعالج النحو بأساليب متنوعة تعكس هذه التنوعات الاهتمام المتزايد بالمسائل النحوية، سواء كان ذلك من خلال استحداث جوانب جديدة أو تحسين الجوانب الحالية، حيث يقدم الباحثون مقترحات لتطوير الدرس النحوي وتحسينه. وفي غمرة هذه التنوعات، يبحث البعض عن طرق تسهيلية وأساليب تعليمية تجعل الدرس النحوي أكثر فهما وسهولة وإمكانية للطلاب، مما يظل موضوع البحث مستمرًا حتى اليوم.

ففي مناقشة هذا الأخير في العصر الحديث، يسلط الباحثون الضوء على تحديات فهم هذا الدرس من حيث صعوبة القواعد النحوية وتعقيدها، وفي هذا السياق يتفرد الباحث الحاج صالح بطرح رؤية جديدة ومختلفة بأسلوب تحليلي يقدم تفسيراً جديداً لقصور فهم المحدثين لهذا الجانب اللغوي المعقد.

فهو يرى بأنَّ مسألة تعليم النحو مسألة قديمة النشأة، وأنَّ النحو عند نشأته «كان نحواً علمياً وتعليمياً في الوقت نفسه، أما كونه تعليمياً فهو ما كان يعلم للصبيان، وما كان يرغب في تحسين مهاراته، وكان لهم اهتمام كبير جداً بتعليم أبنائهم العربية، وكان مرجعهم كأصول مدونة ما وضعه النحويون» (صالح، 2012، صفحة 14)، لذا يعد النحو جزءاً لا غنى عنه في نظام اللغة، فهو وسيلة تساعد الدارسين على فهم واستخدام اللغة بفعالية، حيث يتضمن تدريسه مستويين، الأول متعلق بتعلم اللغة ذاتها.

والثاني يركز على تعريف الدارسين بالقواعد اللغوية، والذي يهمنّا في هذا المجال هو تدريس النّحو من أجل الإحاطة بالقواعد اللّغوية، وهو مجال الدراسة التخصصية لمتعلّم وطالب اللغة العربية، فهو ملزم بفهم اللغة واستيعاب خصائص بنيتها، ودرس النّحو يعتمد بدوره على تحليل الجمل والأفعال، كما يركز على القواعد التي تحكم استخدام الكلمات، مما يسهم في تعزيز فهم الدارسين لبنية اللغة وتوظيفها بفعالية لأن الكلمات القائمة بذوات معانيها تعدّ مغلقة، حتى يكون الإعراب مفتاحا يفتح به أبواب الفهم والتحليل العميق، فيظهر كمستخرج يكشف عن الأمور الكامنة ويفتح النافذة على أسرار اللغة بأكملها، وبالتالي فمتعلم اللغة العربية أو النحويّ عند دراسته للنحو، لابدّ عليه أن يدرك القواعد النحوية أولا حتى يسهل عليه فهم لغته وتوظيفها، لأنّها تحتل مكانة بارزة في مراحل التّعليم، وتعتبر من أعقد العناصر اللغوية في مناهج تعليم اللغة العربية، كما تساعد الفرد على التكلم والتواصل واستعمال اللغة استعمالا صحيحا.

وبهذا استطاع الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح من إظهار الجدوى الحقيقية لهذه القواعد بإجابته الشاملة على التساؤل الذي أثار فضول الباحثين ولدارسين حول متى وكيف يجب أن تعلّم هذه القواعد، وأثبت بأنها لا تقتصر على جانب التزيين اللغوي فحسب بل تتجاوز إلى تسهيل فهم اللغة وتحسين المهارات اللغوية، كما يؤكد على ضرورة إدماجها في الدورات التعليمية بطرق تحفز الفهم وتطبيقه في السياقات المختلفة.، تحتل مكانة بارزة في مراحل التّعليم، وتعتبر من أعقد العناصر اللغوية في مناهج تعليم اللغة العربية، كما تساعد الفرد على التكلم والتواصل واستعمال اللغة استعمالا صحيحا.

وقضية تيسير النّحو قضية لغويّة في ميدان تعليم اللغة العربية تسعى لتبسيط وتسهيل فهم القواعد النحوية دون المماس بأساسياتها والتأثير السلبي على جوهرها، وتقديم رؤية جديدة تجمع بين التسهيل والمحافظة على جوهر النحو، وفي هذا السياق يبرز عبد الرحمن الحاج صالح برؤيته المتوازنة التي تفتح أفقا جديدا للتعليم اللغوي بصفة عامة والنحو بصفة خاصة.

كما يحاول من خلالها أيضا أن يوضح بأكثر دقة المشكل المطروح برده على من أرادوا تبسيط النّحو وإصلاحه واستبدال بعض ما جاء فيه بقوله: «إذ كيف يبسّط النّحو وهو القانون الذي بُني عليه اللسان، ولا شك أنّهم أرادوا تبسيط الصورة التي تُعرض فيها القواعد على المتعلم، فعلى هذا ينحصر التبسيط في كيفية تعليم النحو ... إذ لا يميّز هؤلاء المصلحون بين ما هو علم وينبغي أن يكون معقدا مجردا عميقا، تلك هي طبيعته، وبين ما هو تطبيق له وينبغي أن تكون ثمراته سهلة المنال» (صالح، 1974، صفحة 22)، فمنطلق تيسير تعليم النحو عنده هو تجديده، ومحاولة تبسيطه وتقريبه من الناشئة والمتعلمين، ولا شك أن غياب الحدّ الفاصل بين ما هو

علمي وما هو تعليمي حسب رأيه، هو السبب الذي وقع فيه هؤلاء المعاصرون، وأدى بهم إلى الخلط والالتباس بين المفهومين المذكورين.

وفي سياق آخر، نلاحظ بأنه يتحدث عن تبسيط النحو أو تسهيله في سياق تعلم النحو والصرف، ويركز على أن يتعلق التسهيل بتكامل القواعد النحوية والصرف بمقاييس التعليم الحديثة، وذلك من خلال تبسيط القواعد وتقديمها بطرق تفاعلية للمتعلمين.

وعليه، فإن اختيار الطرق المناسبة لتدريس النحو العربي أمر مرغوب فيه، ومحاولة تبسيطه وتقريبه من المتعلمين، فتعليمية النحو تركز على اختيار المادة النحوية المناسبة من الركام الهائل المدون في علوم اللغة والنحو العربي، وهنا تكمن أهميته في العملية التعليمية، ذلك أن رصيد كل لغة من القواعد النحوية أكبر من أن يقدم في مستوى واحد من المستويات التعليمية، ولهذا تخضع موضوعات النحو لعملية الانتقاء.

4. تعليمية النحو على ضوء نماذج عند (عبد الرحمن الحاج صالح)

إن من معالم تأصيل الدرس النحوي التي سعى الحاج صالح لإثباتها، وإقرارها في أبحاثه، وصارت جزءاً من نظريته النحوية وبمثابة محطة اهتمامه، ما تعلق بتعليمية النحو العربي لأنها أضحت مسألة ضرورية للدارس اللغوي فهماً ودرساً، ودارس النحو-النحوي- تطبيقاً وتفصيلاً، فكل ما يمكن أن نعثر عليه في هذا الموضوع هو مجموعة من الإشارات التي نجدها مبثوثة في ثنايا كتبه ومقالاته، وفي سياق حديثه ومعالجته لموضوع تعليم اللغات (تعليمية اللغة العربية) عامة وتعليم النحو خاصة.

فأهمية تعليمية النحو تتجلى في قدرة المتعلم على اكتساب مهارات نحوية دقيقة، ولكن الجانب الحقيقي والأساسي لهذه الأهمية يظهر في القدرة على توظيف واستخدام هذه المهارات لتحسين جودة كلامه وبناء الجمل بشكل فعال للتعبير بوضوح ودقة في التواصل اللغوي.، ولهذا لم تكن دراسة النحو وتعليمه عند الشيخ الحاج صالح مجرد مستودع لحفظ القواعد بل أراد أن يجعله تربة خصبة لطالب العلم بالملاحظة الفاحصة والدليل القاطع والفتنة في استقراء المسائل والقواعد النحوية، كما عمل على تقريب الفهم للمتعلمين مستعملاً شروحات دقيقة فيها إشارات لطيفة.

فقد تطرق الأستاذ إلى ثلاث قضايا مهمة تعدّ حقاً من دعائم المناهج التي تركز على ما يتحقق في

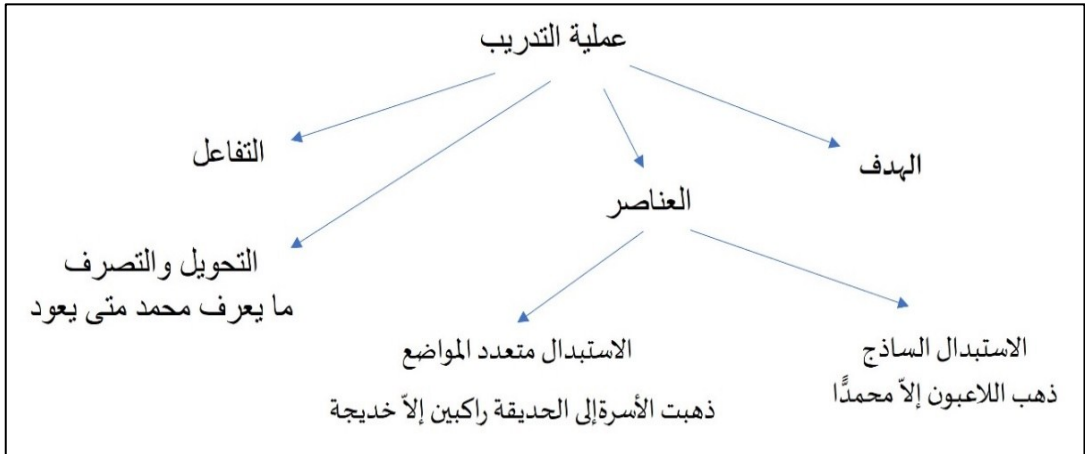
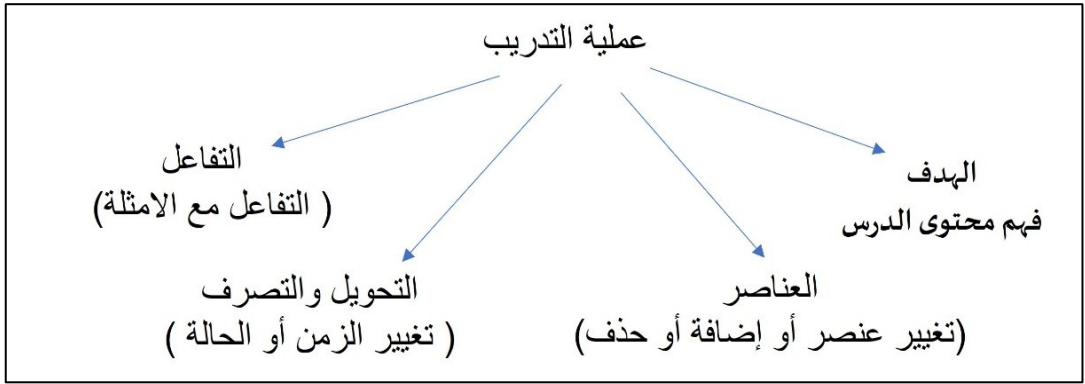
عناصر المثلث اليداكتيكي، وهي:

- النظر في محتوى اللغة التي تعلم للمتعلم.
- النظر في محتوى الطريقة التي تبلغ المحتوى.

• النظر في تأدية المدرّس لهذه الطرق وكيفية تطبيقه لها.

كما أثبت مجموعة من الحقائق في حقل تعليمية النحو على مدرسي اللغة بصفة عامة، والنحو بصفة خاصة، نجدها تتعلق بالمتعلم، الانتقاء، الطريقة وتعليمية النحو والوسائل البيداغوجية، ومن هذه الوسائل: التمارين البنّوية والمشجّرات ودعا إلى ضرورة وجودها في الكتاب المدرسي لأهميتها في اكتساب اللغة، وأكد على اعتماد التمارين البنوية باعتبارها تربي الملكة اللغوية التي تمكّن المتعلم من أن يتصرّف ويضيف ويجد الحلول، حيث جمعها في النقاط الآتية أهمها:

عملية التدريب التي يقوم بها المعلم بتوجيه المتعلم لفهم المحتوى اللفظي والمعنوي للجملة أو النص، ويمكن تصوير هذه العملية في مخطط يظهر عدّة عناصر منها:

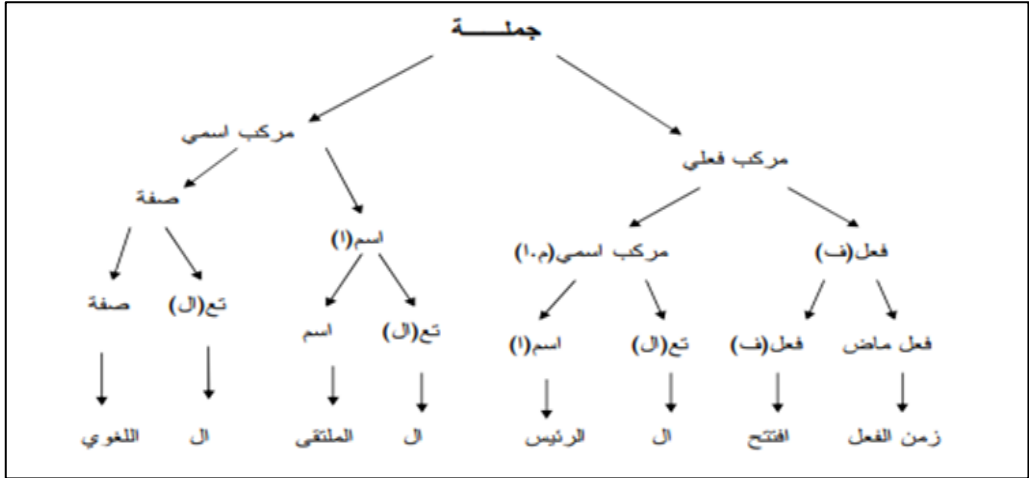


ولا تتم هذه العملية، إلّا من خلال عدّة أشكال من التدريب بما في ذلك:

وبالنظر إلى الوسائل التي قدّمها الأستاذ يمكن أن نستنتج من خلال الشكّلين السابقين بأنه:

- أشار إلى التمارين البنوية كأداة تعليمية، وأسلوب تربوي يستند إلى مبادئ النحو والصرف في اللغة.
- يقصد بالتمارين البنوية: تلك التمارين التي تهتم ببنية الجملة والتراكيب اللغوية، وتتيح للمتعلم فهم وتطبيق القواعد النحوية بطريقة تفاعلية تقوم على التحليل مما يساعد على تنمية مهارات التحليل والتفكير اللغوي لدى المتعلم.
- يرى بأنها تعد الملكة التي تمنح المتعلم القدرة على التفكير والتفاعل، وإضافة أفكار جديدة، والبحث عن الحلول.
- يركز على دمج هذه التمارين في عملية التدريب حتى تكون للمعلم فرصة الإبداع والتنوع في الأساليب، بدءاً بالتدريب الساذج إلى التدريب المتعدد المواضيع، أما من جهة المتعلم فتتطور مهاراته في التفكير والإبداع.
- أما الوسيلة الأخرى وهي المشجرات» فالهدف منها هو إبراز التركيب الباطني للجملة، وهو رسم تجريديّ أفضل من الإعراب، يمثل البنية التركيبية للجملة، ويساعد المتعلم على تصوّر هيئات التركيب في يسر وبساطة» (الوعر، 1982، صفحة 31)، وعليه فالمشجرة أداة فعالة تبرز البنية العميقة للجملة في شكل تجريدي يفوق في توضيح الهيكل التركيبي للجملة مقارنة بالإعراب التقليدي، فهي تساعد المتعلم على فهم هياكل الجمل بسهولة، والشكل التالي يوضح ذلك:

الشكل 1: البنية التركيبية للجملة



المصدر: (صبان، 2022، صفحة 101/100).

فمن خلال هذا التركيب يمكن للمتعلم بسهولة فهم الوحدات اللغوية التي تشكل الجملة، فينتقل من التعامل مع مصطلحات وتعريفات صعبة إلى فهم شامل وعميق وعلمي للقواعد النحوية، بطريقة فعّالة.

إنَّ الحاج صالح ينطلقُ في تيسير الدّرس النّحوي من تيسير النّحو ذاته وتعليمه، بشكل يعتمد على اختيار علمي وموضوعي للمحتوى الذي يقدّم للمتعلمين، والبحث عن أنجع الطرائق والوسائل لتعليمهم ما يناسبهم، لأنّ الهدف من تعليم النّحو هو إكساب المتعلم لقوى اللغة التعبيرية أي ملكة لغوية في مراحل التعليم الأولى، لأنّ هذه القوى تعتبر أساسا لبناء قاعدة يستند إليها هؤلاء المتعلمون ، ومن هذا المنطلق فهو يرى بأنّ تعليم النّحو في هذه المراحل لا بدّ أن يكون بطريقة غير مباشرة وغير واضحة للمتعلم ، مما يتيح له فهم القواعد دون الشعور بالثقل والصعوبة، مؤكّدا بذلك على أهمية اختيار تقديم المواد اللغوية وتنظيمها بتدرج، لضمان فهمها وترسيخها لأنّ إشكالية تعليم النحو تتعلق بالجانب اللّغوي، ولا يتم ذلك إلّا وفق مراحل أساسية أهمها:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة اكتساب الآليات الأساسية، والملكة اللغوية، وتسمى بالمرحلة الضمنية، يتم فيها تقديم المفاهيم النحوية إلى المتعلمين بشكل داخلي، حيث يتم عرض الكلمات النحوية المكونة بشكل غير مباشر، مع التركيز على الملكة اللغوية والتطبيق العملي لها، ثم يسعى لتوفير بيئة تعلم تشجع على فهم القواعد بشكل طبيعي وغير مباشر دون الحاجة الى التلقين أو الشرح المفصل لها.

وبالتالي فهي مرحلة انطلاقه تمهيدية للدرس، يختار فيها المعلم الدّروس الثلاثة الأولى، مثلا: «درس الأسماء المتمكّنة والأفعال المتصرفّة التامة (الشائعة) على الأدوات (إلّا ما لا بدّ منه كعلامات الإعراب والتّوين وأداة التعريف)، ثم تدخل بعض الأدوات الكثيرة التواتر مع العناصر السابقة، ثم بعض الفروع الخاصّة بهذه الأسماء والأفعال وهكذا، ولا بدّ في كل درس من أن يشعر المعلم تلامذته بالتقابل القائم بين العنصر الجديد والعنصر الذي هو أصله، قد سبق وإن اكتسبه» (صالح، 1974، صفحة 65).

يظهر من خلال كلام الأستاذ أنّه لا بد على المعلم أو المدرّس أن يعتمد على مبدأي الأصل والفرع، في تقديم الموضوعات النحوية الأكثر شيوعا والمفردات المرتبطة بها، والتي لا يمكن الاستغناء عنها، كالأسماء المتمكّنة المتصرفّة التامة التي تقبل الزيادة (ال التعريف . حروف الجر- التّوين...)، والأفعال المتصرفّة بالطريقة التفريعية، أي الانتقال من الأصول إلى الفروع، حتى لا يشعر المتعلم بأيّ غرابة في الانتقال، ويرى بأنّ هناك تنظيما لكيفية عرض تلك المواضع والظواهر اللغوية، وبالتالي يكون الاسم المتمكّن المجرد من الزيادات (أصلا)، ثم يصبح (فرعا) بعد الزيادة في أوّله وآخره، وذلك على النّحو الآتي، مثلا:

- انطلقت الطائرة اليوم.
- انطلق طائرة الحجاج اليوم.
- سافر مدير الفندق البارحة.
- سافر المدير البارحة.

فهذه المواضيع تشكل الأساس الرئيسي الذي يبنى عليه تعلم الطلاب مبادئ النحو بفهمهم لمواقع هذه الوحدات اللغوية، ومن خلال التدريبات يكتسب التلميذ مهاراته النحوية الأولية، مما يمكنه من بناء جمل جديدة وممارسة مختلف الهياكل اللغوية الأساسية بشكل فعال.

وعليه فالمرحلة الأولى تقوم على أساس المواضيع التي ينتقيها المعلم ليلقنها للمتعلم، حتى يصبح قادراً على فهم البنى اللغوية والتصرف فيها، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق التدريب والممارسة.

فإذا حصلت تلك الملكة اللغوية، والمتعلم يكون قادراً على التعبير عن أغراضه بلغة سليمة، فإنه يمكن في آخرها «أن تدخل بالتدرج وبكميات قليلة جداً مصطلحاته قبل ذلك، أي في النصف الأخير من المرحلة الأولى بدون تحديد أو تعليق، بل يربطها بالأعمال الترسخية، حيث تكثر فيها الأخطاء فيتدخل المعلم لتصحيحها، فبيّن نوع الخطأ بتسمية العنصر الذي وقع فيه (وبدأ طبعاً بالمصطلحات الكثيرة التواتر مثل ألقاب الإعراب والفاعل والمفعول والفعل الماضي والمضارع والأمر وغير ذلك من الألفاظ الأساسية)، وهكذا يتم إعداد المتعلم لتلقي النحو النظري في المرحلة الأولى نفسها، ويكلف في نهايتها بإعراب التراكيب التي قد اكتسب مثلها، وتعود على إجراء هذه المثل في تعبيره الشفاهي والكتابي قبل ذلك بكثير» (صالح، 2012، صفحة 236).

وعلى المنوال نفسه واستناداً إلى قول عبد الرحمن حاج صالح، فإن تلك المعلومات النظرية التي يُلقِيها المعلم على التلميذ أو المتعلم في مرحلة الترسخ (التطبيق)، لا تكون غاية في ذاتها، بل تكون وسيلة إلى غايات أخرى منها تصحيح ما وقع من أخطاء فيما سبق للمتعلم، وإن أدركه بطريقة ضمنية والعمل على تفجير قدراته العقلية في التحليل والربط والتركيب، وتعوّده على إعمال عقله، وبالتالي وجب على المعلم أن يُعطي للتلاميذ أو المتعلمين فرصاً أكبر للتحدث باللغة العربية، وتصويبهم إن أخطأوا، والإشارة إلى القواعد أثناء التحدث، وربطها بتقويم اللسان، لأنّ التصويب أثناء الممارسة من أنجع الطرق التربوية التي تزرع القواعد في سلوك المتعلم.

أما المرحلة الثانية: فيطلق عليها بالمرحلة المباشرة التي سبق وأن تمّ التمهيد لها في أواخر المرحلة الضمنية، وهي مرحلة تحصيل الملكة البلاغية، وحسب رأي الحاج صالح أنّ المتعلم في هذه المرحلة سبق وأن تهيأ لها، فلا ينتقل إلى هذه المرحلة إلا إذا تأكد المعلم من أنّ المتعلم أو التلميذ قد اكتسب الملكة اللغوية الأساسية، لأنّه في المرحلة الثانية سيشرع في تلقي المصطلحات النحوية في شكلها النظري، إذ يقول: «أما فيما يخص النحو النظري فيشرع في تعليمه في هذا المستوى أيضاً بشرط - كما قلنا - أن يكون التلميذ قد تمّ امتثاله العملي لمثل النحو الأساسية» (صالح، 2012، صفحة 235)، وبمعنى آخر أنّ المتعلم يكون مجهزاً ومهيئاً ومكتسباً للملكة اللغوية، ثم

ينتقل عمله إلى استيعاب المصطلحات النحوية في سياقها النظري، فيتفاعل مع هذه المصطلحات ويتناولها بالعمق والنقاش والتفحص النظري.

وبالتالي لا تقدّم له المعطيات النحوية كقواعد ومصطلحات، بل تكون على شكل رسومات توضيحية، «لأنّ أحسن الطرق التربوية لتحصيل النحو النظري هي التي تُقدم معلوماته وقوانينه على شكل رسوم بيانية بسيطة يشار فيها إلى العلاقات والعمليات بالرموز، ويتفادى بذلك النص المسهب الذي يصعب حفظه، ويتجنّب أيضا -وهذا أهم شيء- التحديد بالجنس والفصل بالنسبة للبنى؛ بل يُستعمل الحدّ الرسمي (الذي يذكر الصفات والعلامات المميّزة للشيء فقط) ولا يلجأ إلى التحديد بالجنس والفصل إلّا في الحقائق في ذاتها الخارجة عن نطاق البنية» (صالح، 2012، صفحة 236)، فنلاحظ في هذه المرحلة أنّ الحاج صالح ينبّه إلى ضرورة الاعتماد على الحدّ النحوي الإجرائي الذي يقوم على تحديد الوحدات أو العناصر اللغوية إلى أبنيتها اللفظية، في شكل رسم بياني بطريقة رمزية حتى يسهل شرحها للمتعلم، فإذا حرص المعلم على إكساب المتعلّم الموضوعات النحوية عامة، والقواعد النحوية خاصة بطريقة ضمنية لاشعورية قائمة على المثل والأنماط اللغوية التي يكثر استعمالها على لسان المتعلم في مختلف المواقف التواصلية، وبمعنى آخر أن أيّ قاعدة نحوية أو موضوع نحوي المراد إكسابه للمتعلم لا يكون على شكل القانون المقرّر التلقيني الذي يقوم على الحفظ والاستظهار بطريقة مباشرة، بل يكون تقديمه للمتعلم من خلال منظومة نحوية متكاملة تقوم على تتبع موضعه داخل البنية التي ينتمي إليها.

وفيما يلي الجدول يوضح قائمة بعض الموضوعات والمصطلحات النحوية اعتمادا على الحدّ النحوي

الإجرائي:

الجدول 3: قائمة بعض الموضوعات والمصطلحات النحوية اعتمادا على الحدّ النحوي الإجرائي

المستوى اللغوي	الموضوعات النحوية وما يرتبط بها من مصطلحات
مستوى الكلمة المفردة	الموضوعات المتعلقة بالصرف (الأوزان/المجرد والمزيد)
اللفظة الاسمية	الاسم المتكّن الأمكن - أل التعريف - حروف الجر - علامات الإعراب الأصلية (الضمة/ الفتحة / الكسرة) - علامات الاعراب الفرعية (الألف - الياء - الواو) - التنوين (تنوين الضم/ تنوين الفتح/ تنوين الكسر) -الإضافة- المضاف إليه-الصفة والموصوف...
مستوى اللفظة	الفعل -زوائد الفعل التي لا تؤثر فيه لفظا (السين - سوف -قد-ما) - زوائد الفعل التي تؤثر فيه لفظا ومعنى (أدوات النصب/ أدوات الجزم) - علامات البناء الأصلية (الضمة/ الفتحة/ السكون) - علامات البناء الأصلية(الضمة)-علامات البناء الفرعية (ثبوت

النون) - الضمائر المتصلة (نون الجماعة- تاء المتكلم- واو الجماعة- ألف الاثنين...)	
موضع العامل (الفعل وكما ما يمكن أن يشغل موضعه سواء أكان أداة أو كلمة وتركيباً) موضع المفعول الاول (الفاعل- المبتدأ). موضع المفعول الثاني (المفعول به - الخبر). موضع المخصصات (الحال- التمييز- المفعولات باستثناء المفعول به...)	مستوى الجملة (أو التراكيب)

المصدر: (صبان، 2022، صفحة 105)

كانت هذه قائمة بعض الموضوعات النحوية الوظيفية وما يرتبط به من مصطلحات نحوية مرتبة عن استغلال مفهوم الحد النحوي الإجرائي، والتي نبّه إليها الأستاذ باستغلالها وعرضها على المتعلمين بشكل إجرائي وظيفي بعد تكييفها مع ما تقتضيه التعليم الحديثة.

فاختيار الطريقة المناسبة والوسائل التعليمية الملائمة في تعليم أي قاعدة نحوية أو موضوع نحوي يسهم إلى حد كبير في نجاح العملية التعليمية، فلا تقوم على المحتوى التعليمي وحده، وإنما على المحتوى والطريقة معا... ومهمة اختيار طريقة تدريس القواعد النحوية حسب رأي الأستاذ الحاج صالح تعود إلى المعلم، بحيث تتحدد الطريقة بنظرته إلى التعليم، ونوع الفلسفة التربوية التي يتبناها، فإذا كان يروج لفكرة أنّ التعلم هو عملية ذاتية قام بها المتعلم، سيعتمد على طرق تدريس تعزز هذا المفهوم. وإذا رأى التعليم كعملية تلقين، فسيختار أساليب تتناسب مع هذه النظرة، وعليه نستنتج أن المعلم يلعب دوراً فعالاً في تعليم أي قاعدة نحوية، فهو ملقّن ومنشط للدرس والمسؤول عن الطريقة المناسبة التي يستخدمها من أجل إنجاح هذا الدرس وتوصيل فكرته للمتعلّم، وانطلاقاً من الطريقة التي يختارها إما يخلق جو التفاعل مع المتعلمين أو العكس.

كما يركز الحاج صالح على أسس بناء منهاج تعليم قواعد النحو - القواعد النحوية- ويرى بأنّ الحجم الساعي المخصص لنشاط القواعد (النحو والصرف والاملاء) قليل مقارنة بباقي الأنشطة اللغوية الأخرى، إذ يتم تناول القواعد النحوية في الحصّة الأولى لاستثمار النص مدة خمس وأربعين دقيقة، ويتم تناول القواعد الصرفية والاملائية بالتناوب في الحصّة الثانية لاستثمار النص مدة خمس وأربعين دقيقة أيضاً، ونحن نرى نشاط استثمار النص يحتاج إلى وقت أطول مما مُنح له، كي يتمكن المتعلم من قراءة النص وشرحه ثم استنباط القاعدة وإجراء التمارين لترسيخ ما تمّ تعلمه ويفترض أن يكون للتمارين من الدراسة القسط الأوفر بكثير من حصّة العرض والايصال، ويجب أن لا تقل نسبتها عن ثلاثة أرباع الدراسة (صالح، 2012، صفحة 234)، وتفسيراً لذلك فإنّه يرى

بأن كل الأنشطة اللغوية منها والعلمية هي مجال لتطبيق القواعد، إلا أنه يبقى لحصة القواعد مكانا مهما في دقة الملاحظة والحرص على التطبيق الدقيق للقاعدة، لذلك كان على واضعي المنهاج أن يخصصوا وقتاً أكبر لنشاط القواعد.

وبذلك ابتكرت طرائق عديدة تهدف جميعها إلى تيسير عملية تعليم اللغة العربية عامة، وتعليم النحو وقواعده خاصة، "كالطريقة الاستقرائية: والتي تقوم على الأمثلة التي يشرحها المعلم ويناقشها ثم يستنبط منها القاعدة، والطريقة القياسية: وتقوم هذه الطريقة على الحفظ، ثم الإتيان بشواهد وأمثلة تثبت حفظ تلك القاعدة، ثم الطريقة المعدلة: وهي الطريقة الاستقرائية لكنها تقوم على عرض النص الأدبي المترابط الأفكار بدل الأمثلة، بالإضافة إلى طريقة النشاط، والتي تقوم على استغلال نشاط التلاميذ بجمع الأساليب والأمثلة، وأخيرا، طريقة المشكلات: وتقوم هذه الطريقة على إثارة مشكلة تدور حول الظاهرة النحوية المطلوبة (الساموك، 2005، صفحة 229/228)، وتبقى كل هذه الطرائق الوسيلة الوحيدة التي يستخدمها المعلم في عملية التعليم والتعلم.

وعلى الرغم من تعدد هذه الطرائق، إلا أنه على المستوى العملي التطبيقي يرى الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح أن كل من الطريقة الاستقرائية والطريقة القياسية وطريقة النص الأدبي -بإيجابيات وسلبيات كل طريقة - من أشهر طرائق تدريس النحو، إلا أن منهاج اللغة العربية لم ينصّ على طريقة معيّنة في المراحل الأولى من التعليم، كما أن الالتزام بطريقة واحدة في جميع النشاطات، يصيب المتعلمين بالخمول والكسل، وهذا ما ركّز عليه الحاج صالح من خلال قوله: هناك فترة كلّها استقرائية وفترة كلّها قياسية لا في إدراك المتعلم لما يبلّغه إياه بكيفية ضمنية وغير ضمنية ولا في أثناء اكتسابه لمملكة التعبير (صالح، 2012، صفحة 236)، لذلك لابد من اختيار طريقة التدريس المناسبة على حسب ما يقتضيه الموضوع، وقد يلزم لتدريس موضوع واحد استخدام أكثر من طريقة للوصول إلى تحقيق الأهداف المنوطة به.

وبناء على ما ذكره أستاذنا، فإنه ينبغي الاعتماد على الطرائق النشطة في عملية تدريس النحو والقواعد النحوية خاصة، حسب ما يقرره المنهاج وفق المراحل التعليمية، لأن هذه الطرائق الناجحة حسب رأيه هي التي تستند إلى معرفة الطالب من حيث طبيعته، وخصائصه، ودوافعه، وحاجاته، وخبراته السابقة، فتجعل المتعلم محور العملية التعليمية، ويكون المعلم فيها موجه ومرشدا ومشجعا على البحث والاكتشاف ومثيرا لدافعية المتعلم، أما من جهة الوسائل التعليمية هي تتسم بالوسائل الحديثة الملائمة والمستقطبة لاهتمام المتعلمين، وبالتأكيد هذا ما يجعلنا نتجاوز مسألة صعوبة طرائق تدريس النحو وجفافها، فالمدرس المرن يمكنه أن يقدم أي موضوع وبأي طريقة كانت دون أن يشعر المتعلم بالغرابة أو الملل.

وخلاصة القول، وبعد هذه الوقفة المتواضعة مع جهود عبد الرحمن الحاج صالح الذي أثبت ملكته في الاجتهاد بكل وعي صياغة مفاهيم تأصيلية أطر بها بحثه اللساني، فقد كانت غايته هي إثراء الدرس اللساني وتأصيله بصفة عامة، والدرس النحوي بصفة خاصة، باعتباره أهم العلوم اللسانية، بالتأليف والشرح انطلاقاً من القرآن الكريم والكلام العربي لضبط هذا الدرس ضبطاً سليماً، وتيسير تعليمه، بغية توجيه تطور الدرس اللساني لفائدة النظام اللغوي.

5. خاتمة:

- وصولاً إلى الخاتمة لندون فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج نجمها في النقاط التالية:
- إنَّ أصاليّة الدرس النحوي وحدائته في الدرس اللساني الحديث ترمي إلى أهداف أكّدت على وجوب وضع النحو العربيّ ليُصبح أداة إichائية، تُذلل الخطاب اللغوي والأدبيّ معا.
 - ساهم عبد الرحمن حاج صالح في بعث التراث اللغوي من جديد وربط الأصالة بالمعاصرة .
 - انفرد عبد الرحمان الحاج صالح عن غيره بمجموعة من المصطلحات اللغوية مثل : الذخيرة اللغوية العربية، اللفظة، الحد الإجرائي والمثال.
 - إنَّ ما أورده الباحث عبد الرحمن الحاج صالح حول مسألة تعليمية النحو العربي هو منهج علمي قائم على أسس، يمكن الاستفادة منه والرجوع إليه لإعداد مناهج تعليمية، واستثماره في مجالات مختلفة.
 - إبراز حقيقة عجز اللسان العربي عن توظيف قواعد النحو في الحديث والكتابة مما أكّد العمل على تيسير النحو العربي.
 - نبّه الحاج صالح على كثير من الأحكام التي فانت النّحاة المجددين الذين خلطوا ما بين النّظرية والتطبيق في تيسير المادة النحويّة على المتعلمين.
 - سهّل الباحث السّبل لتوضيح وتبسيط الظواهر النحويّة بالتأليف والشرح لضبط النحو العربي ضبطاً سليماً.
 - حاول الحاج عبد الرحمن صالح في أبحاثه المنجزة سواء على الصعيد المعجمي أو اللساني في تعليمية اللغة العربية أن يطرح قضايا اللغة العربية وتعليمية النحو العربي وبعالجه وفق منظور حضاري .
 - يجب تدريس النحو العربي الأصل في كل المراحل التعلّميّة بحجم ساع وكافٍ ليتمكن الطالب والمتعلّم من التشبع بالمفاهيم النحويّة التراثية وبهضمها بما يؤهله لتوظيفها في مختلف مراحل التعلّمية.

- إنَّ الغرض الأساسي من تعليم مادة النحو العربي حسب رأي اللساني عبد الرحمن الحاج صالح هو تطبيق القواعد النحوية والعمل بها في واقع اللغة العربية، وينبّه على أن تكون هذه القواعد بمثابة نظريات محفوظة في ذهن المتعلّم لا معرضة للنسيان مباشرة بعد الامتحان.

6. قائمة المراجع :

- بوعلام طهراوي ونادية صبان. (2022). إشكالية تيسير المصطلح النحوي وارتباطه بتيسير تعليم النحو في التعليم ما قبل الجامعي. مجلة إشكالات في اللغة والأدب.
- حافظ اسماعيلي علوي. (2009). اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة (دراسة تحليلية نقدية). دار الكتاب الجديد المتحدة: بيروت.
- صاحب أبوجناح. (1998). دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها. دار الفكر: عمان.
- صالح بلعيد. (2004). مقاربات منهجية. دار هومة للنشر: الجزائر.
- عبد الرحمن الحاج صالح. (1974). أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية. مجلة اللسانيات.
- عبد الرحمن الحاج صالح. (2012). بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. موفم للنشر: الجزائر.
- عبد الرحمن الحاج صالح. (2012). بحوث ودراسات في علوم اللسان. موفم للنشر: الجزائر.
- عبد الرحمن الحاج صالح. (2012). منطق العرب في علوم اللسان. موفم للنشر: الجزائر.
- عبد القادر بنفطة. (2020). جهود عبد الرحمن الحاج صالح في تأصيل النحو العربي. مجلة الآداب واللغات.
- مازن الوعر. (1982). النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحليلية والتوليدية، محاولة لسيرها وتطبيقها على النحو العربي. مجلة اللسانيات.
- هدى الشمري وسعدون محمود الساموك. (2005). مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها. دار وائل للنشر والتوزيع: الأردن.
- هشام صويلح. (2020). التأصيل والتقويم في فكر عبد الرحمن الحاج صالح "دراسة مسائل في أصول النحو". مجلة اللغة العربية.